مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذهِ هي الأعمالُ الحسنَةُ والنافِعةُ* أمَّا المباحثاتُ الهذَيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّةُ فاجتَنِبْها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطِلةٌ* ورجلُ البِدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنه* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قدِ اعتَسَف وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسِه على نفسه* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتَهِدْ في تشييعِهما متأهِّبين لئلاَّ يُعوِزَهما شيءٌ* وليتعلَّمْ ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالِحةِ

حزقيال النبي

تعيِّد الكنيسة المقدسة في ٢٣ تموز للنبي حزقيال الذي كان كاهناً لله العلي، وكان من الذين سباهم البابليون سنة ٥٨٤ ق.م. بعد سقوط أورشليم بيدهم. كان المسبيون من وجهاء الشعب، وقد أحسن البابليون معاملتهم، فكان الملك يوياكين يأكل على مائدة ملك بابل، وكانت لهم الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية، كما أن حزقيال نفسه كان يسكن في بيت خاص له. هذا الوضع جعلهم ينسون سبب سبيهم وهو أنهم «أمة متمردة» قد تمردت على الرب (حز ٢: ٣).

لقد أعلن حزقيال نبوءته بعد أن ظهر له الله على نهر خابور في بلاد بابل، وهي المرة الأولى التي تعلن فيها نبوءة من خارج أرض شعب الله، في إشارة قوية على ان الله غير محصور في هيكل أورشليم الذي بناه سليمان الملك ليُسكن الله فيه.

أراد الله مراراً أن يُعلن نفسه لشعبه على حقيقته وأن يؤكد دعوته لهم إلى العودة إليه وإلى العمل بوصاياه. غير ان الشعب كان مكبلاً بتقاليد الشعوب المجاورة ومنها ان الإله محدودٌ في مكانٍ معين وهو قائم على خدمة شعبه، لذلك يأتي الناس إليه في المكان الذي يحدّدونه له ليقدّموا له الذبائح ويطلبوا منه ما يشاؤون راجين أن ينفذ لهم طلباتهم.

في كتاب حزقيال النبي تأكيد واضح على ان معايير الله غير معايير البشر، فقد ظهر الله لحزقيال في بابل وأعلن له نفسه من خارج هيكل سليمان، وهذا يعني ان الله غير محصور في الهيكل الذي بناه الناس له كما ان الله لا ينتظر الناس حتى يأتوا إليه عندما يريدون هم بل هو يأتي إليهم عندما يريد هو. استعمل حزقيال صوراً تدل على ان الله الذي يتنقل على عرشه كيفما شاء هو ملك الدنيا بأسرها وإله كل البشر. ففي حين انه لا يمكن أن يكون في بلد واحد عرشان لملكين في آن واحد، نرى في رؤيا حزقيال ان عرش الله يتسامى على عروش كل ملوك الأرض. إنه في النهاية «ملك الملوك ورب الأرباب».

غير ان الله لا يشبه أية صورة من الصور التي نرسمها له، ولو أننا نحاول دوماً أن نماهيه بصورة من صور البشر. فإن كنا نعتقد فعلاً انه

العدد ٢٠٠٩/٢٩
الأحد ١٩ تموز
أحد آباء المجمع المسكوني الرابع
تذكار أمنا البارَّة مكرينة
أخت باسيليوس الكبير
وأبينا البار ذِيُس
اللحن الخامس
إنجيل السحر السادس

للحاجاتِ الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّمْ على الذين يُحبونَنا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(متى ٥: ١٤–١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نورُ العالَم. لا يمكنُ أن تَخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبل* ولا يُوقَدُ سِراجٌ ويوضَعُ تحت المكيالِ لكن على المنارة ليُضيءَ لجميعِ الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّامَ الناس ليرَوا أعمالَكم الصالحةَ ويُمجّدوا أباكم الذي في السموات. لا تَظنُّوا أنّي أتيتُ لأحُلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمّم* الحقَّ أقولُ لكم إنَّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يَتِمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يَحُلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغارِ ويُعلّم الناسَ هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ ويُعلّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

الإله الحقيقي وأنه الملك الوحيد لا يمكننا أن نرسم له صورة ما نراه في البشر. فهو ملك إنما ليس كملوك الأرض الذين نعرفهم وهو إله ليس كالآلهة التي يعبدها الناس. في رؤيا حزقيال يظهر الله أنه يفوق محدوديتنا، وقد عبَّر حزقيال عن ذلك عندما حاول أن ينقل لنا رؤياه مستعملاً كلمة «شبه» وكلمة «كمنظر» مراراً وتكراراً. فقد رأى حزقيال «سحابةٌ عظيمةٌ... ومن وَسَطِها شِبهُ أربعةِ حيواناتٍ لها شِبهُ إنسانٍ... وعلى رؤوسِ الحيواناتِ شِبهُ مُقبَّبٍ... وفوق المُقبَّبِ... شِبهُ عرش... وعلى شِبهِ العرش شِبهٌ كمنظرِ إنسانٍ عليه... هذا منظرُ شِبهِ مجدِ الربِّ» (حز١: ٤–٢٨). وهذا يعني أن الله ليس كما يصفه الإنسان.

هذه الصورة وهذا الأسلوب يتكرَّران عند النبي حزقيال في آخر كتابه عندما يظهر له الرب المدينة وهيكلها ومقاييسهما حيث سيسكن الله إذ يظهر لحزقيال رجلٌ أخذ يقيس المدينة والهيكل بتفصيل دقيق. وقد حاول البعض من الدارسين ان يضعوا مجسّماً لتلك المدينة غير ان النتيجة كانت عجيبة غريبة، وقد فسّروا ذلك بأن مقاييس الله تختلف عن مقاييسنا ومعايير الله تختلف عن معاييرنا. فإن كان لا بد أن نسكن الله في مدينة وفي هيكل إلاَّ أنه يشاؤهما كما يريد هو مدينةً هي مكان سكناه: «واسم المدينة في ذلك اليوم: الرب هناك» (حز ٤٨: ٣٥).

المحبَّة تبيّض الحساب

«المحبَّةُ لا تحسدُ. المحبَّةُ لا تتفاخَرُ ولا تنتَفِخُ ولا تُقبِّحُ ولا تطلبُ ما لِنفسها ولا تحتَدُّ ولا تظنُّ السوءَ» (١ كور ١٣: ٤–٥).

ماذا يعني القول لا تظن السوء. لا تظن بطريقة شريرة؟ الإنسان الممتلئ من المحبَّة المسيحية الحقيقية لا يحمل أفكاراً شريرة عن الناس ولا يظن السوء بهم، ولا يمتعض إن قالوا أو فعلوا شيئاً. هو نقيض مَنْ يحفظ سجلاً يدوّن فيه هفوات كل مَن يتعامل معهم. كلنا نعرف أشخاصاً لا يعرفون إلا الإمتعاض والظن بالسوء، وقد مرّت ربما عشرات السنوات على حَدَث تافه يرفضون نسيانه. لا يسامحون على أمر قاله أحدهم في شكل دعابة، أو عندما كان في أزمة. كم مرّة كنا نودع راقداً عزيزاً بالرب ونلاحظ ان أولاد الراقد لا يتكلّم واحدهم مع الآخر. كلنا نسمع قصصاً محزنة عن أشخاص يدّعون البرّ ولا يسامحون.

الذين لا ينسون ولا يسامحون هم مثل مدققي الحسابات في الشركات الذين يحفظون سجلاً بالفواتير غير المدفوعة ويفتحونه من حين إلى آخر لإرسال مذكرات التنبيه بالدفع. نحن نشبههم في الحياة البشرية. كم مرّة سمعنا حافظي سجلات الآخرين يقولون: الله قد يسامح أما أنا فلا. لن أنسى ما فعله هذا معي، وطبعاً يعنون انهم لن يسامحوا. هؤلاء يملأ الحقد والثأر فكرهم وهم مدعاة للشفقة والحزن، ولا يعلمون ان في الحياة أموراً أفضل تستحق أن نعيشها بدل سجن ذواتهم في غرف مظلمة حيث يخزنون سجلاتهم المليئة بالماضي الحاقد.

تصوَّروا صدمة أولئك الذين يحفظون الإساءات عندما يصلون إلى أبواب الملكوت. تصوّروهم ينتقلون من هذه الحياة إلى حيث الفرح الأزلي ونور المسيح فلا يستطيعون الدخول، بل ينظرون في الداخل مَن كانوا هدفاً لحقدهم وكراهيتهم واقفين بين الملائكة

تأمل

«أمَّا المباحثات الهذَيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّة فاجتَنِبها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطِلةٌ» .

لنطلب معونته تعالى لكي نتمم اجتهادنا بالعمل ولنحفظ فمنا جاعلين عقلنا مزلاجاً له لا ليكون موصداً دائماً بل ليفتح في الوقت الملائم. فقد يكون أحياناً السكوت أفضل والكلام أفضل من السكوت. لذلك يقول الحكيم سليمان للسكوت وقت وللتكلّم وقت (جامعة ٣:٣). لو كان واجباً أن يُفتح الفم دائماً لما لزم له باب ولو كان واجباً أن يُغلق دائماً لما لزمت له الحراسة. فالباب والحراسة ليُعمل كل شيء في وقته. ويقول آخر إجعل لكلامك ميزاناً ومعياراً (سيراخ ٢٨: ٢٩) أي أن نلفظ كلامنا باحتراس وازنين إياه ومفكّرين به.

فإن كنا نفعل ذلك بالذهب والعناصر الفانية، فالأولى أن نفكر بالكلام كي لا يكون فيه نقص أو زيادة. ولذلك يقول الحكيم: لا تمتنع عن الكلام في والقديسين.

الرسول بولس يقول ان المحبة لن تدع ذلك يحدث. عندما نحب الرب من كل القلب والفكر والنفس والقدرة فنحن نحب الذين يحبهم هو. إذا كان الرب غفر لكل الذين أساؤوا إليه، فمَن نحن لنحفظ الضغينة ونتذكّر الإساءات، ونكتبها في سجلات ذاكرتنا بحبر لا يُمحى؟ ماذا لو قرَّر الرب يسوع ان يضع أمامنا سجلنا المليء بخطايانا منذ طفولتنا إلى يوم وفاتنا؟ لنتذكّر مَثَل ذاك الإنسان الذي سامحه سيّده بعشرة آلاف وزنة، ولم يسامح نظيره بمئة دينار.

ليس للملائكة أجنحة للطيران، لكنهم يطيرون لأنهم لا يحملون أثقال الحقد والثأر. القديسون مثلهم. أن نتمثّل بهم يعني أن نقطع الرباط الذي يوثقنا بكل ما هو أرضي. فلتتضمن صلواتنا التمنّي بأن نتحرّر من ذكرى كل ما عُمل بنا للإساءة إلينا وإهانتنا، لكي نسمح لنفوسنا بمعانقة الرب عندما يأتي معلناً أننا نخصّه.

مدارس بيروت

مساء الأربعاء ٨ تموز أقيم في مدرسة البشارة الأرثوذكسية حفل تخرّج مئة وخمسة وسبعين طالباً وطالبة من مدارس أبرشية بيروت الثانوية، وكان لسيادته الكلمة التوجيهية التالية:

«الإنسان أسمى المخلوقات وأرقاها، وقد أعطاه الرب أن يسود على سائر الكائنات وأن يُطلق عليها الأسماء، لأنه حباه عقلاً إذا استعمله الإنسانُ الإستعمالَ الحسن، بما يُرضي الله، كانت النتيجةُ لصالح الإنسان وما يحيط به.

العقلُ إحدى هبات الله التي لا تحصى. قد يظن الإنسانُ أنّ ما له حقٌ له. قد يظن أنّ اليدين والرجلين والعينين والأذنين وسائر الأعضاء والحواس هي حقٌ مكتسبٌ ولا يُدرك أنها نِعَمٌ أغدقها الله عليه لتكون معيناً له في جهاده نحو حياةٍ مرضيةٍ لله. لكنه عندما يَفقِد إحدى هذه النِعَم يُدرك عِظَمَ محبةِ الله له، وعِظَمَ عقوقه. عندما يكسر أحدُنا ساقَه أو يدَه يدركُ أهميةَ هذا العضو المكسور، وعندما تضعُفُ إحدى حواسه أو تفْقَدُ يعي أنه لم يُمجد الله كفايةً على عطاياه العظيمة.

حكمةُ الله لا توصف ومحبتُه لا تُحَد. وكما منحنا الجسدَ والأعضاءَ والحواسَ والقلبَ... وزع علينا المواهب: لقد قال بولس الرسول «اللهُ واحدٌ الذي يعملُ الكلَّ في الكل لكنه لكل واحدٍ يُعطى إظهار الروح للمنفعة، فإنه لواحدٍ يُعطى بالروح كلامُ حكمةٍ ولآخرَ كلامُ علمٍ بحسب الروح الواحد، ولآخرَ إيمانٌ بالروح الواحد ولآخرَ مواهبُ شفاء بالروحِ الواحد ولآخرَ عملُ قوّاتٍ ولآخرَ نبوةٌ وآخرَ تمييزُ الأرواح ولآخرَ أنواعُ ألسنة ولآخرَ ترجمةُ ألسنة ولكن هذه كلّها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحدٍ بمفرده كما يشاء» (١ كور ١٢: ٧-١١).

لم يُعطَ لجميعنا أن نكون أنبياء أو فلاسفة أو معلّمين أو أطباء... ولكن كلاً منا فريدٌ في عينَيْ الرب وقد أعطاه الموهبة التي تناسبُه والتي يستحقها. لواحدٍ أعطى وزنةً ولآخرَ وزنتين ولثالث خمسَ وزنات. هذه هي مشيئته وهذه هي حكمته التي نجهلها وليس علينا أن نناقشها بل أن نثمّر ما أعطانا. وعوض أن يصرف أحدُنا وقته وطاقته في حسد أخيه أو جاره على موهبته لِمَ لا يصرفُ وقته وطاقته لكي ينمّي موهبتَه ويثمّر وزناتِه. وقد يفوق أخاه أو جاره وقد يكون نجاحُه باهراً إن عَمِلَ وجدَّ وتعب. وقد يصبح موضعَ إعجابِ الغير وربما حسدِهم.

وقت الخلاص (سيراخ ٤: ٢٧) فهل ترى وقت التكلّم؟ وفي مكان آخر يشير إلى وقت السكوت بقوله: إن كان لك فم فجاوب قريبك وإلاّ فاجعل يدك على فمك (سيراخ ٥:١٤) وقال أيضاً: كثير الكلام يمقت (٢٠:٨). فالإنسان الذي يكتم حماقته خير من الإنسان الذي يكتم حكمته (٢٠:٣١): اسمع وأنت ساكت فباحتشامك تنال الحظوة. تكلّم ولكن نادراً متى دعتك الحاجة (٣٢: ٩ و١٠)، فيجب الاحتراس الشديد حتى يملك الإنسان لسانه ويستخدمه بلا خطر البتة.

ولذلك يجب ألا نسكت وأن نتكلّم في الوقت المناسب فقط بنعمة عظيمة كما قال بولس الرسول: ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد (كولوسي ٤:٦). فكّر انك تكلّم الله بهذا العضو وبه ترفع المديح له وتتناول الذبيحة الرهيبة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

المهم أن يكتفي الإنسانُ بما منّ الله عليه من نِعَم ومواهبَ ووزنات وأن يستعملَ العقلَ والقلبَ والصوتَ واليدين وسائرَ الأعضاء لكي يُمجّدَ اللهَ في ما أعطاه. حَذارِ أن نستعمل مواهبنا في ما هو للشر والهدم والأذية. «إن كانت عينُك اليمنى تُعثِرُك فاقْلَعْها وأَلْقِها عنك لأنه خيرٌ لك أن يَهلِك أحدُ أعضائك ولا يُلقى جسدُك كلّه في جهنم، وإن كانت يدُك اليمنى تُعثِرُكَ فاقطعها وأَلْقِها عنك لأنه خيرٌ لك أن يَهلِك أحدُ أعضائِك ولا يُلقى جسدُك كلُّه في جهنم» (متى ٥: ٢٩–٣٠). أذكّر بهذا الكلام لأن أعضاءنا قد تكون أدواتٍ تودي بنا إلى الهلاك، كما قد تكون وسائلَ لتمجيد الله وشكره.

والآن وفيما أنتم تودّعون مرحلةً مهمة من حياتكم، هي السنوات التي أمضيتموها في المدرسة تؤسسون بالعلم والمعرفة لما ستكتسبون فيما بعد، وتتجذرون في الأخلاق والسلوك الحسن والحس الاجتماعي، وتعدّون أنفسَكم لولوج مرحلة جديدة تواجهون فيها إلى جانب التحصيل العلمي في الجامعة الحياةَ العملية، يجب أن تعوا أنكم أنتم أساسُ المجتمع الآتي وثباتُ الوطن الموعود الذي لا نجد فيه سوى المواطن الملتزم الوفي المسؤول، المهيّأ أن يبني فيه ويبنيه ولا يهدّم، الحريص على حرية الإنسان المسؤولة والمدافع عن استقلاله.

المُنتظَر منكم في المستقبل الذي لا يَبعُد كثيراً عن الحاضر أن تكونوا المناراتِ المضيئةَ التي تبعد الظلمةَ والجهلَ وتجذّرُ المعرفةَ، وأن تكونوا ينابيعَ العلم والنور المتدفقة في كل اتجاه.

ننتظرُ منكم أنتم شجيراتُ العلمِ اليومَ أن تجعلوا من لبنانَ بلداً خصباً تتمتع أرضه بكل أنواعِ الأشجارِ المثمرة، وبستاناً يزهو بمختلفِ الزهورِ الجميلةِ المنظرِ والعَرْفِ أي بتنوّعِ المعارف والعلوم التي تؤدي إن استغرقتم في فهمها واستيعابها إلى تمجيد «الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها» (أع ١٤: ١٥).

نَحْلُم نعم نَحْلُم أن نراكم تشقّون طريقَكم نحو آفاقٍ جديدة واسعة تدفعكم إليها أحلامُكم. هذه الأحلامُ التي تنطلق من إدراككم أنكم رسلٌ أرسلكم اللهُ لترفعوا لبنانَ من حضيض الإنشقاق والتشرذم إلى التماسك والوحدة، ومن لجة الحقد والكراهية ورفض الآخر إلى المحبة والغفران وقبول الآخر، ومن عمق الآلام المتراكمة خلال السنين إلى الضوء والرجاء وانتظار يوم القيامة البهي، ولتبشّروا بلبنان أفضل وأجمل وأرفع من كل الصغائر التي تشدّه إلى أسفل.

أنتم فرحُنا الآتي. لذلك أسألُ اللهَ أن يعضدَكم في ما ألهمكم أن تتجهوا نحوه وإليه، كما أسأله أن يهديكم في الطرق القويمة لتعملوا كلَّ ما هو خيّرٌ وبنّاءٌ لنفوسكم ولمجتمعكم ولوطنكم وتبتعدوا عن كل ما يشوّه صورةَ الله فيكم، وتدركوا مدى محبته لكم، لتتمكنوا بمعونته من إتمام مشيئته فيكم».

عيد مار الياس

بمناسبة عيد النبي الياس التسبيتي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السابعة من مساء الأحد ١٩ تموز في كنيسة دير مار الياس بطينا، وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الإثنين ٢٠ تموز في كنيسة النبي الياس في المصيطبة.